



منهج توينبي في فلسفة التاريخ

Toynbee's methodology in the philosophy of history

نبيل مسيعد

جامعة باجي مختار. عنابة

تاريخ القبول: 22 / 07 / 25

تاريخ الاستلام: 22 / 05 / 27

Abstract :

The methods followed and data gathered in research probably increase the significance of the findings that the researcher comes to. Proceeding from this fact, in this essay, I have attempted to shed the light on the method of the most important cotemporary British philosopher and historian, Arnold Joseph Toynbee and his Challenge and Response theory that is considered as the most important theory in the philosophy of history and civilization, specially Toynbee's meaning of approach and his reaction to other historians' methods. Besides we will be able to know his way in comparing historical events and understand what he called the Bird view and the Womb view. We will also deal with the different elements which contribute in his method's construction as we will see some philosophical doctrines, modern approaches in psychology. In addition to his use of modern physical and astronomical researches in time and how they are used in the philosophy of history study.

Keywords : Methodology; Toynbee; Philosophy; History; Civilization.

المؤلف المرسل: نبيل مسيعد

البريد الالكتروني: nabilmeciad12@gmail.com

ملخص:

إن النتائج التي يصل إليها الباحث مهما كان مجال البحث الذي ينشط فيه، ستزداد قيمتها بالنظر للمنهج الذي أعتمد عليه في جمعه وترتيبه لعناصر بحثه، وانطلاقاً من هذه الحقيقة، أحاول في هذه المقالة تسليط الضوء على منهج أحد أهم فلاسفة التاريخ المعاصرين وأعني به المؤرخ والفيلسوف الإنجليزي أرنولد توينبي صاحب نظرية التحدي والاستجابة التي تعد من أبرز النظريات في فلسفة التاريخ والحضارة. وهذا بالتركيز على معنى المنهج عنده، وموقفه من مناهج المؤرخين، والتعرف على طريقته في مقارنة الأحداث التاريخية، وشرح ما يعرف عنده بمنهج رؤية الطائر ورؤية الدودة، ثم نبحت في أهم العناصر التي ساهمت في تشكيل منهجه، حيث نكتشف عدد من المذاهب الفلسفية، والمناهج الحديثة في علم النفس، بالإضافة إلى استعانتة بالأبحاث الفيزيائية والفلكية المعاصرة في الزمن وكيفية نقل ذلك لمباحث فلسفة التاريخ والحضارة.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الفلسفة، التاريخ، الحضارة، توينبي.

1. مقدمة:

يعد أرنولد توينبي من أهم فلاسفة التاريخ والحضارة في عصرنا وهذا بالنظر للاهتمام الذي أولاه لهذا الموضوع حيث استمر في تتبع مسيرة الحضارة من بداياتها في بلاد الرافدين إلى زمن الحضارة الغربية المعاصرة، ومن أهم أعماله في هذا المجال كتابه دراسة للتاريخ الذي يقع في اثني عشرة مجلداً، واستغرق في تأليفه أربعة عقود من الزمن ، وقادته أبحاثه لوضع نظرية في فلسفة التاريخ والحضارة، يعتبرها قادرة على تفسير ظهور الحضارات واختفائها، وهي نظرية التحدي والاستجابة التي قلما يهملها كتاباً أو مقالة في فلسفة التاريخ والحضارة. لكن ما يلاحظ على الأعمال



المكرسة لهذا المفكر هو مرورها سريعا على منهجه في الدراسة، مع أن النتائج التي يصل إليها الباحث تقاس أهميتها بمدى تماسك ووضوح المنهج المتبع للوصول إليها. لهذا سأحاول في هذه المقالة تسليط بعض الضوء على هذا الجانب الذي لم ينل قدره فيما أعلم من الدراسة في العالم العربي، كما أن هذا المفكر نفسه حسب اطلاعي لم يشأ أن يعرض منهجه بشكل منظم ومستقل في مؤلفاته، بل كان يشير إليه في معرض حديثه عن الحضارة وفي مواقع متفرقة من كتبه، الأمر الذي يتطلب جمع شتات منهجه وتنظيمه وتحديد مبادئه وأسس. وهذا ما عمل على تحقيقه في هذه المقالة، من خلال الإجابة على هذه المشكلة: ما هو المنهج الذي أتبعه توينبي في دراسته للتاريخ والحضارة؟

2. موقف توينبي من مناهج التاريخ

إذا كانت المناهج العلمية الحديثة تنظر إلى تقسيم الدراسة إلى عناصرها الأساسية، مقوما لا يمكن التخلي عنه لاسيما بعد ظهور كتاب مقال في المنهج لديكارت الذي وضع فيه مخططا متكاملا للدراسة الموضوعية، ومن أهمها تقسيم عناصر الدراسة إلى اجزائها ما وسع التقسيم¹ مع الحرص على التخصص. فإن أرنولد توينبي (Arnold Toynbee 1889-1975 م) لم يجد ما يجذبه لهذه المنهجية، لأن الرؤية المتخصصة بنظره تعجز عن ربط الأحداث ببعضها البعض، خاصة إذا تعلق الأمر بدراسة تاريخ الحضارات، وفي هذا قال: "برأيي أن الفكر الغربي المعاصر يفسده الذهاب بالتخصص إلى حدوده القصوى، إن صورة الذهن البشري تتشوه عندما يريد أن يدرس حادثة وكأنها وجود تام في ذاته وليست جزء من كل"². وربما

لهذا كان يفضل في دراسة التاريخ أن يقوم بالعمل لوحده، رافضاً إسناد ذلك إلى لجنة أو هيئة، وغرضه من هذه المنهجية هو المحافظة على سير الأحداث التي قد تتعرض للانفصال إن هي دُرست من طرف مجموعة من المتخصصين. لأن الظواهر الإنسانية بنظره تتطلب نسقاً عقلياً ليس من السهل أن يتقاسمه المؤرخ مع غيره من الباحثين، متناسياً أن هذا التوجه يفتح الباب أمام الذاتية.

لكن الأمر خلاف ذلك بالنسبة للمفكر روبرت جورج كولينجود الذي ذكر في كتابه فكرة التاريخ ، أن توينبي كان قريب من النزعة التي ظلت تميز الفكر الإنجليزي منذ تأسيس بيكون وهي النزعة التجريبية، وأنه من أشد الباحثين حرصاً على أن يكون وضعياً في مقارنته لموضوع تاريخ الحضارات. مع علمه بأن المنهج الوضعي هو ذلك المنهج الذي يفسر الظواهر بظواهر أخرى، وإمكانية التحقق من النتائج التي يصل إليها، ويسمح بصياغة نظريات وقوانين علمية إزاء ذلك، وتحقيق الموضوعية عندما تكون عناصر الدراسة قابلة لعزل بعضها عن البعض بخطوط واضحة المعالم وقابلة للعد والتقسيم والتجزئة، وإمكانية تحديد العلاقات القائمة بينها. وتلك هي الأسس التي استند إليها توينبي في دراسته للتاريخ حسب كولينجود. فكان يقسم موضوع الدراسة التاريخية إلى عدد من الوحدات التاريخية، ويطلق على كل قسم منها اسم مجتمع، وكان بنظره من المؤرخين الذين ينظرون إلى أحداث التاريخ بطريقة لا تختلف عن رجل العلم الذي يشهد أحداث الكون المادي، متناسياً حسب هذا الباحث أن المؤرخ هو عنصر لا يتجزأ من العمليات التاريخية نفسها، وأن عليه أن يتمثل في نفسه ألوان التجارب التي يدرسها من الوجهة التاريخية، ليخلص إلى القول أن التاريخ عند توينبي تحول إلى دراسة من دراسات الكون المادي³. فهل بلغ توينبي هذا المستوى من تكميم الظواهر التاريخية؟



الحقيقة أن توينبي لا يتعامل مع أحداث التاريخ كما يتعامل عالم التجربة، وهذا السؤال أجاب عليه كولينجود نفسه في قوله: "إن هذا النقد الموجه لفلسفة الحضارة عند توينبي لا ينصب إلا على المبادئ الجوهرية عند هذا المفكر، إذ الواقع هو أن توينبي يفيض بأحاسيسه التاريخية الصادقة عندما يشرع في كتابة التاريخ، وقلما يسمح لأحكامه التاريخية أن تتأثر بالأخطاء التي تضمنتها مبادئه"⁴، ولو أن هذا لا يتفق مع الحكم السابق الذي أكد فيه أن توينبي يتعامل مع أحداث التاريخ حسب ما يمليه الاتجاه الوضعي، وها هو يتحول إلى باحث يفيض بالأحاسيس.

لهذا اعتقد أن وصف توينبي بأنه موضوعي انطلاقاً من تقسيمه لموضوع دراسته غير كاف، بل الظاهر أن كولينجود حاول أن يبرز هذا التوجه في منهج توينبي ليسهل عليه نقده، بدليل أنه حَمَلَ عليه عندما وجده يفصل بين الحضارة اليونانية والرومانية. في حين أن المنهج الذي أتبعه توينبي كان يستهدف من خلاله إبطال القول بأن الحضارة الإنسانية واحدة والتأكيد على أن الحضارات متنوعة، وقد عرف البشر الكثير منها في مختلف بقاع العالم، وبالتالي كان يرد على مقولة مركزية الحضارة الغربية. وهذا لا ينفي أن توينبي سعى لتمثيل منهج العلوم الطبيعية في دراسته لأحداث التاريخ، وكان يريد الكشف عن القوانين التي تحكم سير أحداثه، لكن طبيعة الظاهرة التاريخية فرضت عليه أن يقنع بالقليل من هذه القوانين⁵. ولما كان يعلم أن تحديد القوانين يستلزم الإيمان بوجود الحتمية في التاريخ على غرار ما هو موجود في العلوم التجريبية. سارع إلى نفيها دون أن يجد أي تناقض في ذلك، لأن

الإنسان عنده يتمتع بحرية الإرادة. وشرع في استخدام منهجه مبتدئا بدراسة تاريخ بلده إنجلترا، فوجد أنه يمتنع فهم تاريخها إذا لم يتعرض بالدراسة إلى الأمم الأخرى⁶.

3. وحدة الدراسة التاريخية عند توينبي

اعترض توينبي على منهج المؤرخين الذين يهتمون بالمحيط الذي ينتمون إليه، ويتمحورون حوله دون الالتفات إلى كونه نتيجة لأحداث سابقة. ليؤكد أن الأمم أو الدول القومية ليست هي المجال الصحيح للدراسة التاريخية، بل المجتمعات أو الحضارات الأكثر اتساعا في المكان أو المدة الزمنية⁷، لهذا لم يقتصر في دراسته على دولة واحدة.

ويرى أن هذه المنهجية التي تتخذ من دولة قومية واحدة ميدانا واحدا للدراسة، لو كانت منهجية صحيحة، فإنها تنجح في دراسة بريطانيا، لكنها فشلت. ولم يكتب لهذا المنهج الإحاطة بتاريخ بريطانيا بشكل منفصل عن محيطها الثقافي. فالأمة مهما كانت عظمتها، لا تصلح أن تكون ميدان دراسة لوحدها، ويرى أن المجتمع الذي يكون ميدانا صالحا للدراسة، وقابلا للفهم بذاته هو المجتمع الذي يضم عددا من المجتمعات، ومثاله في ذلك المجتمع الغربي، الذي يضم إلى جانب بريطانيا فرنسا وإسبانيا وهولندا إلى غير ذلك من الدول الأوروبية.

لكن هذه المنهجية تطرح أسئلة حول الأساس الذي بموجبه يتم تحديد المجتمعات الكبيرة التي تضم مجتمعات قومية، وقد أحصي منها نحو واحد وعشرون حضارة، وأن كل مجتمع من هذه المجتمعات قابل للفهم بذاته. ولو ذهبنا بهذا المنهج إلى أبعد حد، فإن ما قيل عن المجتمعات القومية يقال عن الحضارات التي تضمها، لأن هذه الحضارات أيضا مهما كانت ضخمة فإنها تنتهي إلى مجتمعات أقدم منها. إلا أن توينبي حاول الدفاع عن منهجه بقوله: إن العودة إلى الخلف ستقودنا إلى



المجتمعات البدائية، وهي بنظره مجتمعات تقع خارج إطار الدراسة التاريخية التي جعلها مقترنة ببداية الحضارة في بلاد الرافدين ومصر⁸، إلا أن هذا لا ينفي أن يكون للمجتمع البدائي دور في الحضارة التي عرفها الإنسان، وهذا باعتراف توينبي نفسه عندما وصف مجهود البدائيين في الحضارة الإنسانية، وبأنه لا يقل قيمة عن مجهود من جاء بعدهم، وذلك بالنظر للظروف التي كانوا يمرون بها.

وقد يكون أخذ هذه المنهجية أي الحضارة هي وحدة الدراسة التاريخية في دراسة الحضارات، بالنظر لعلاقة الفرد بالمجتمع، فكما أنه ليس من السهل فهم الإنسان بالاقتران على جانبه المورفولوجي فقط، ودون النظر في المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، وما يوفره له من أطر اجتماعية وثقافية وعادات وتقاليد ودين وتربية. فكذلك الدولة القومية إنها غير قابلة للفهم إذا تم فصلها عن المجتمع الكبير الذي تنتمي إليه. وعليه كما أنه يستحيل حسب توينبي إدراك سلوك عضو دون النظر في سلوك من يعيش معهم⁹. فإنه يستحيل فهم أي من المجتمعات دون النظر في المجتمعات الأخرى التي لها علاقة بها سواء في الحاضر أو في الماضي.

ويبدو أن هذه المنهجية التي تجعل الحضارات تمر بمراحل من التطور شبيهة بما نجده لدى الكائنات الحية، يكون قد اقتبس أحد اجزائها من نظرية التطور التي أكد صاحبها أن الكائنات الحية انطلقت في البداية من جرثومة واحدة، ثم أخذت تتفرع لتنتهي بهذا الكم الهائل من أنواع الحيوانات. والتمعن في نظرية توينبي يجد أنها تتكلم عن وضع مشابه حلت فيه الحضارات محل الأنواع الحيوانية، مادامت كل حضارة تنتسب إلى أصل أقدم منها، وما يؤكد التشابه أكثر هو استعماله لمصطلحات ذات

بعد بيولوجي مثل مصطلحي الأبوة والبنوة¹⁰، وإصراره على التأكيد بأنه لا يمكن فهم الأحداث التي تعرفها الدول القومية بمعزل عن الحضارات السابقة التي تنتمي إليها.

4. منهج توينبي في الدراسة الفلسفية للتاريخ

1.4. مفهوم المنهج

المنهج في اللغة هو الطريق البين والواضح المستقيم¹¹، وفي الاصطلاح هو الاجراءات العلمية التي تؤدي إلى بلوغ الحقيقة، بواسطة مجموعة من العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها الباحث في علم من العلوم بلوغ الحقائق المتوخاة، مع إمكانية بيانها والتأكد من صحتها. وهو مجموعة من القواعد الذهنية المترابطة منطقيا في إطار نظام من المبادئ، هدفها الوصول إلى إنتاج معرفة أو تغييرها، أو الكشف عن حقائق معينة والتأكد منها¹²

2.4. مفهوم المنهج عند توينبي

لا يختلف مفهوم المنهج عند توينبي عن معناه الاصطلاحي، إلا أنه حاول تفصيله أكثر، حيث وجد أن طريقه تنقسم إلى ثلاثة أنواع، أولها يستهدف تحقيق الوقائع وتسجيلها، وهو المستخدم بكثرة لدى علماء المادة، والطريقة الثانية تسعى لاستخلاص القوانين عن طريق الدراسة المقارنة للوقائع، وهو المنهج المتبع من قبل علماء الأنثروبولوجيا، والطريقة الثالثة هي إعادة تصوير الوقائع بطريقة فنية مبنية على الخيال. وبما أن هذا القسم الأخير يعتمد على الخيال، فقد استبعد من طرف الكثير من المؤرخين، الذين يفضلون الأساليب التي تعتمد على تسجيل الوقائع وتحليلها، شأنهم شأن علماء التجربة، لكن توينبي تعلق به وفضله عن باقي المناهج¹³، مقتربا باختياره هذا من المشتغلين بالدراما والقصص والرواية، وقد يكون متأثرا في ذلك بالفيلسوف الروسي دانييلفسكي¹⁴. إلا أن كولينجود ينفي هذا التوجه عن



تويني، ويؤكد أنه يتعامل مع أحداث التاريخ كما يتعامل رجل العلم التجريبي مع الظواهر الطبيعية، متناسيا . أعني تويني . أن المؤرخ هو عنصر لا يتجزأ من العمليات التاريخية نفسها، ومن الضروري حسب كولينجود أن يتمثل في نفسه ألوان التجارب التي يدرسها من الوجهة التاريخية. هذا النقد يقود إلى أن التاريخ عند تويني تحول إلى دراسة من دراسات الكون المادي، وأن الماضي بدل من أن يعاش في الحاضر، صوره على أنه ماضٍ في حيز العدم كما هي الحال في ظواهر الكون المادي¹⁵. وهو ما رفضه تويني في مناسبات عديدة لاسيما في كتابه مختصر دراسة للتاريخ. ويرتكز منهج تويني على خطوتين أساسيتين، الخطوة الأولى هي الرؤية الشاملة والدقيقة، والخطوة الثانية هي المقارنة بين الوقائع التاريخية.

1.2.4. منهج رؤية الطائر ورؤية الدودة

حاول تويني أن يجمع بين المنهج التجريبي وما يتضمنه من روح علمية، ومنهج المؤرخين، فظهر عنده ما يعرف بمنهج رؤية الطائر، ومنهج رؤية الدودة، ويقصد بالرؤية الأولى تلك النظرة العامة الشاملة لكل الجوانب، وهي مطلوبة في كل العلوم، لأنها تمكن الباحث من الإحاطة بموضوعه بشكل شامل. على الرغم من كونها ملاحظة غير دقيقة، لأنه من الصعوبة بمكان الجمع بين الشمول والدقة في نفس الوقت على الأقل بالنسبة للعين الإنسانية. وهذه النظرة يمكن استعمالها في العلوم التجريبية بإلقاء نظرة واسعة على الأعمال التي تمت في دراسة معينة، إلا أنها تلائم بشكل أفضل دراسة التاريخ، فأحداث التاريخ وقعت في مكان ما، وهذا المكان عند مراقبته لا نجد أحسن من موقع الطائر في الأعلى¹⁶.

لكن الأمر لا يتطلب المراقبة من هناك دائما، فهذا الإدريسي تمكن من رسم خارطة العالم القديم من خلال الاعتماد على التحليل العقلي لأخبار الملاحين ورواد البحار. إلا أن الاعتماد على العقل والاستنتاج يكون أقل قيمة مما تراه العين، ويمكن النظر إلى خريطة الإدريسي حتى يتبين الفرق بين رؤية العين ورؤية العقل. ثم أن ابن خلدون عندما رد على المسعودي الذي ذكر أن جيش بني اسرائيل بلغ مئات الالاف من المقاتلين، رد عليه بأن المنطقة التي شهدت تلك المعركة لا يمكنها أن تستوعب هذا العدد الهائل من المقاتلين، وكان يمكنه أن يتبين الأمر أكثر لو كان ممتطيا طائرة. إن الرؤية العلوية تسمح بإلقاء نظرة شاملة عند توينبي، لكن ما تجمعه من ملاحظات عن السطح، تفقده في العمق، بمعنى أن التفاصيل الدقيقة تفوتها. لذلك وجد من الضروري أن يقترب الباحث في التاريخ من موضوع دراسته قريبا شديدا يمكنه من الاطلاع على التفاصيل، وهي الرؤية التي أطلق عليها رؤية الدودة، ويعني بها تلك الرؤية القريبة جدا من الموضوع، الرؤية التي تتمعن كثيرا في الأجزاء وتراقبها وهي تتحرك، ويحققها المؤرخ عندما يستخدم الوسائل البسيطة في تنقله وأفضلها معاينة المواقع التاريخية مشيا على الأقدام، كما كان يفعل توينبي في الأماكن التي عرفت الأحداث التاريخية في اليونان وغيرها، وهي بنظره رؤية فعالة ومفيدة للتدقيق في المعلومات التاريخية التي تصله من المصادر المختلفة.

2.2.4 .منهج توينبي في المقارنة

المقارنة في الاصطلاح هي الموازنة بين ظاهرتين أو أكثر، وتتم بمعرفة أوجه الشبه والاختلاف¹⁷، أو هي عملية عقلية تسعى لتحديد العلاقة بين موضوعين أو أكثر، ونستطيع من خلالها الحصول على معرفة أدق. وقد لجأ إليها توينبي للتمييز بين الحضارات، ومن ثم العثور عن العلاقات المختلفة التي تقوم بينها¹⁸. كما استخدم



هذا المنهج في المقارنة بين مكونات المجتمع الواحد مثل الأقلية والأغلبية، والبروليتاريا الداخلية، والبروليتاريا الخارجية، والاعتزال والعودة، والتحدي والاستجابة وغير ذلك من الأزواج التي ظهرت في كتبه. ذلك لأن التاريخ عنده هو العلم الذي يبحث في الحياة التي تحياها الوحدات البشرية والعلاقات القائمة بينها.¹⁹

وكان يستعمل بشكل خاص ما يعرف عنده بالمنهج المقارن السببي الذي يرى فيه خير معين لتحديد الأسباب المحتملة التي تؤثر في ظهور الوقائع التاريخية، بشرط أن يكون ثمة مبرر وإمكانية للمقارنة، والمنهج المقارن السببي مستعمل في مجالات علمية أخرى. ففي علم النفس كان كوندياك يستعمل المقارنة فقال: "مثلما نغير انتباهنا هنا لشيء واحد، يمكننا أن نغيره لشيئين معا، والحال بدلا من إحساس حصري واحد، نكون إزاء إحساسين مختلفين"²⁰، فكانت المقارنة عند هذا المفكر عبارة عن انتباه مزدوج.

وقد تقدم علم الانثروبولوجيا بفضل استخدام المنهج المقارن في تتبعه لأطوار تطور الكائنات الحية²¹، وفي الفكر الإسلامي كان ابن خلدون من الذين اعتمدوا عليه. فذكر أن الباحث يحتاج إلى العلم باختلاف الأمم والبقاع والأعصار، وفي السير والأخلاق، والعوائد، والنحل، والمذاهب، وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بينهما من الخلاف، وتعليل المتفق منها والمختلف²². على أساس أن التحليل المتعاقب المقارن للحالات المختلفة يمكننا من فهم الظاهرة وتحديد العناصر المؤلفة لها أكثر.²³

ولتوينبي طريقته الخاصة في المقارنة بين الحضارات، فيقوم بهذه العملية في ضوء أسئلة محددة وهي: كيف ولماذا تنشأ المدينات؟ وكيف ولماذا تتقدم المدينات؟ وكيف ولماذا تنهار؟²⁴. ثم يشرع في المقارنة فيضع حضارتين مقابل بعضهما البعض، ولتكن الحضارة الهيلينية والحضارة الغربية. ثم يحدد بطريقة تقريبية ومتعارف عليها إلى حد ما، نقطة بداية كل منها. فمثلا إذا أخذنا عام 1125 ق م، على أنه العام الذي أخذت فيه الحضارة الهيلينية تنبثق من بين حطام العالم الميناوي. وأخذنا عام 685 م باعتباره العام الذي أخذت فيه الحضارة الغربية تنبثق من بين بقايا الحضارة الهيلينية في امتدادها الروماني. وبالأستعانة بأداة القياس الافتراضية هذه، يرى أنه في الإمكان التحقق من أية أجيال هيلينية، وأية أجيال غربية كأن الواحد منها يقابل الآخر، على الرغم من الزمن الكبير الذي يفصل بينهما، وإلى أي مدى تمكنت إحداها من تحقيق قدر من التقدم في شتى ميادين الاقتصاد والسياسة والأدب والفن وما إليها، رغم أنه ليس من الضروري أن يكون القدر متساويا في الكيف.

وقد أطلق على هذه المنهجية اسم العصا السحرية، لأنه بفضلها يمكن نقل بلوتارك *Plutarch* (46 م . 120م) نفسه لا مجرد كتاباته من العالم الهليني إلى عالمنا، فإذا ما فعلنا ذلك بدا وكأن بلوتارك قد ولد في عام 1846م . وقدر له أن يموت في عام 1925م، وذلك على اعتبار أنه آخر وأعظم من بقي من العصر الفيكتوري. أما ماركوس أوريليوس *Marcus Aurelius* (121 م . 180 م) فلا يزال في الرابعة من العمر ويتطلع إلى البقاء حتى عام 1980 م ، إذا كنا في سنة 1921 م²⁵.

وقد ساعده هذا المنهج في دراسة الحضارات باعتبارها متعاصرة، فوضع الحضارة السومرية إزاء الحضارة الغربية المعاصرة على الرغم من البعد الزمني بينهما. ويرى أن هذا المنهج لا يقصد به أن يكون مبدأ تاريخيا جامدا، وإنما هو مجرد



فرض وأسلوب دراسة يقدم التاريخ في أكثر الأشكال صفاء، ويساعد على تذكره، ويخلق رواية تشكل كلا متكاملًا في ذاتها، أما الأعمال التي تتم دون اتصال بين البداية والنهاية، فإنها تشوش الذهن وتحد من تكوين صورة حقيقية عن الماضي.²⁶ وتوقع توينبي ظهور اعتراض على هذه الطريقة في مقارنة الحضارات، مثل القول بأن الحضارات غير متساوية من حيث الإنجازات المادية والمعنوية فكيف نقارن بينهما، إنها مقارنة أشبه بمن يضع الطفل أمام الراشد ثم يشرع في المفاضلة بينهما، وهذا غير مقبول عند المتمسكين بضرورة تحري الموضوعية في التاريخ، فلكل واقعة ظروفها التي تحول دون تكرارها بالصورة التي تمت بها، لذلك كل نظرية مقارنة لا تعتمد إلا على احتمالاتها الخاصة، لا بد أن تنتهي إلى التجريد²⁷ مبتعدة عن تحقيق غايتها.

فكان رده على الاعتراض بقوله: إن تفاوت الحضارات في القوة والضعف نسبي فمجتمعاتنا الواحدة والعشرون لو قيست بالمجتمعات البدائية لوجد أنها قد حققت كثيرًا من التقدم، لكنها لم تصب الهدف بعد مثلها مثل الحضارات السابقة²⁸، وعليه نصح معارضيه بالانصباع إلى الحكمة القائلة لا تلقي الحجارة على غيرك إذا كان منزلك من زجاج. أما القول بأن الحضارة واقعة تاريخية لا تتكرر وهذا يمنع المقارنة، فقال: إن الوقائع كالأفراد تقبل المقارنة من بعض النواحي كما لا تقبل من ناحية أخرى، وكذلك الحضارة وهو المعمول به في البيولوجيا وعلم وظائف الأعضاء والأنثروبولوجيا²⁹. وبالاعتماد على هذا المنهج المقارن تمكن من الكشف عن مواطن كانت غائبة في الدراسات السابقة، واستطاع أن يؤسس لنظرية جديدة في فلسفة التاريخ والحضارة.

5. أهم العناصر المؤطرة لمنهج توينبي

يقوم منهج توينبي على خمسة عناصر أساسية أولها استمدها من النزعة الجشطاطية والثانية استلهمها من المنهج البنيوي، وساهم هنري برغسون في تطعيم منهجه من خلال فكري الديمومة والدفعة الحيوية، بالإضافة لعنصر الزمن.

1.5. النزعة الجشطاطية

في دراسته للتاريخ والحضارة نلمس نزعة جشطاطية تميز المنهج الذي اتخذه هذا المفكر، على أساس أن أصحاب هذا المذهب، يسلمون بأن إدراك الكل يكون دائما متقدما على إدراك العناصر التي يتألف منها، وأن خصائص الأجزاء متوقفة على خصائص الكل الذي تنتهي اليه³⁰. ويبرز هذا التوجه في نظريته الكلية للتاريخ، أو ما عبر عنه برؤية الطائر، تلك النظرة التي تتجاوز الدول القومية لتشمل المجتمعات الكبرى، فكانت كما ذكرت سابقا الحضارة أو المجتمع الذي يضم مجموعة كبيرة من الدول مثل المجتمع الغربي أو الحضارة الغربية هي الوحدة الأساسية للدراسة التاريخية، وكان يستهدف من هذه الرؤية الكلية ضمان الإحاطة الشاملة بموضوع دراسته.

2.5. البنيوية

لكن ميوله للمنهج البنيوي كانت أكثر، ويمكن تبين هذه النزعة من اعتقاده بأن الظواهر الإنسانية تتكون من مجموعة من البنيات المترابطة، وأن كل شيء في الوجود، عبارة عن بناء متكامل يضم بين جنباته عدة أبنية جزئية، تقوم بينها علاقات محددة، وهي التي تعطي هذا الشيء بناءه وتوضح وظيفته، وتبين مكانه ضمن أبنية الوجود الأخرى³¹. والمعلوم أن البنيوية تمثل توجه منهجي داخل العلوم الاجتماعية والإنسانية يهدف إلى تحليل البنيات الأساسية للموضوعات والأشياء،



ومن أهم مبادئه أسبقية الكل على الأجزاء، وما يهم المنهج البنيوي ليس الأحداث ولا الكلمات في عزلتها، ولكن العلاقة التي تقوم بين تلك الأحداث أو الكلمات³²، وفق نظرة كلية للموضوع. وقد يعود اهتمام توينبي بهذا المنهج لكون أقطابه هم بالأساس علماء انثروبولوجيا، والانتروبولوجيا لا يمكن فصلها عن فلسفة التاريخ والحضارة. إن الظواهر التاريخية عند توينبي لا ينبغي تحليلها إلى محطات منفصلة عن بعضها البعض ينفصل ماضيها عن حاضرها ومن ثم مستقبلها، إن هذا التفكيك عنده قد يكون ملائما لدراسة المواد الجامدة، لكنه غير فعال في دراسة الظاهرة الإنسانية المليئة بالحياة والحركة، فالتفكيك يفشل في رؤيتها بصورة صحيحة، لأن أحداثها متحركة باستمرار³³.

3.5. الديمومة

يبرز أثر برغسون في منهج توينبي لاسيما فكرة الديمومة، وقد نشأت هذه الفكرة لدى برغسون بسبب شكه في قدرة العقل على فهم الحياة النفسية للإنسان. فهذه الحياة ديمومة، ولا يمكن للعقل أن يتعامل معها كأجزاء على غرار دراسته للمادة، التي نجح في تفسيرها إلى حد كبير، ونجاحه هناك يعود لكونه العقل مُشكّل على نموذج المادة الجامدة. إلا أنه لم يحقق هذا النجاح عندما أراد فهم الحياة النفسية، لأنه غير مبرمج للتعامل معها. وكل محاولة منه لفهم الظواهر الإنسانية، ستؤدي إلى قطع هذه الديمومة، مما يؤدي إلى فشله في فهمها³⁴، ولأجل فهم الحياة النفسية على أحسن وجه عند برغسون، ينبغي الاعتماد على الحدس أو البصيرة، وفي هذا يقول: "البصيرة وحدها هي الأداة الصالحة لذلك النوع من المعرفة المباشرة،

لأنها حاسة الحياة التي تنقل ألينا الوحدة الحيوية التي تربط أجزاء الوجود"³⁵. إننا حسب هذا الفيلسوف حينما نحاول اقتناص الحركة العابرة للتجربة وحصرها داخل إطار اللغة، سنوقف تدفق الواقع وصيرورته، ونضع في مكانها صورة لفظية سكونية هزلية³⁶. في حين الظاهرة الإنسانية ليست آناً من الزمان يحل محل آن آخر، إنها ديمومة تسير في تقدم مستمر يشمل الماضي الذي يتداخل مع الحاضر وهذا الأخير يتداخل مع المستقبل، ولهذا يظل الماضي في الظاهرة الإنسانية محافظاً على وجوده بشكل غير محدود³⁷.

فنقل توينبي هذا المنهج إلى الدراسات التاريخية، وحاول إخراجه في صورة علمية، وهذا عندما قام بحسابات رياضية، بينت له أن ماضي الإنسانية قليل بالمقارنة مع ماضي الأرض والكون. إذ لا مجال للمقارنة بين ملايين السنين، وفترة ستة آلاف سنة التي تمثل عمر الحضارة الإنسانية منذ ظهورها، ليتساءل عن أي مجال لتقسيم هذه الفترة القصيرة جداً إذا وضعت إلى جانب عمر الكون، إنها فترة واحدة³⁸، أو ديمومة بتعبير برغسون. فقاده هذا المنهج للقول بتعاصر الحضارات، مع فارق أن الديمومة عند برغسون تكون على مستوى الحياة النفسية، وهي نوع من التجربة التي تطغى علينا عندما نتوقف عن التفكير، ونترك أنفسنا في انسياب مع موجة الزمن³⁹. فكانت تشير عنده إلى الزمان النفسي، لكن الديمومة عند توينبي تحدث في العالم الخارجي. وتقاس بالزمن الذي نعهده بالساعات والسنوات والقرون وليس بالزمن النفسي كما هو الحال عند برغسون، على أساس أن الزمن في كلا الحالتين يكون تراكمي ومستمر، وفي كل مرة تزداد أحداثه وتتضخم لينشأ عنها المستقبل، بمعنى أن الماضي يمتد للحاضر بكل حيثياته دون أن يضيع منه شيئاً⁴⁰.



وهذه هي وظيفة الحدس الذي يستحضر ما لم يعد موجودا، ويستبق ما لم يوجد بعد، ولو كان الحاضر لحظة رياضية كما هو في علوم المادة لما كان ثمة حاضر بالنسبة إلى الشعور، لأن اللحظة الرياضية حد نظري صرف يفصل الماضي عن المستقبل، وإذا كان في الإمكان تصور هذا الحد النظري، فإننا لا نستطيع أن ندركه بحال، وعندما يُخيل إلينا أننا بلغناه يكون قد أبتعد عنا، وإنما الذي ندركه هو فترة من الديمومة تتألف من قسمين ماضينا المباشر ومستقبلنا الوشيك، فعلى هذا الماضي نحن متكونون، وإلى هذا المستقبل نحن منعطفون، فالاتكاء والانعطاف هما خاصة الكائن الشاعر⁴¹. ومظاهر الحضارة عند توينبي تشهد نفس الوضع عندما تنتقل بين الأجيال وعندما تنتقل من مجتمع إلى آخر، فتكون متداخلة لدرجة يصعب الفصل بينها، وبمعنى آخر هي ديمومة حضارية.

4.5. الدفعة الحيوية

والتأثر ببرغسون يمكن العثور عليه أيضا في ما يعرف عنده بالأقلية المبدعة، وهي أحد الأقسام المهمة في المجتمع المتحضر في فلسفة الحضارة عند توينبي، إن الإبداع لدى هذه الأقلية يمكن تفسيره بالدفعة الحيوية، وهذه الدفعة لدى فلاسفة الحياة موجودة في جميع أجزاء الوجود مهما تنوعت أشكاله، وهي التي تحرك الكائن. فتوهمه أنه كان له وعي بأنه يتحرك عن تفكير عقلي وذكاء، ولكنها في واقع الأمر تقوم بتحقيق مخطط عن طريق استغلال هذا الكائن. وعليه فإن نشاط الكائنات الحية ما هو إلا تجسيد لأوامر الدفعة الحيوية، وليس امتثالا لأوامر صادرة عن العقل، أو

صادرة عن قوة خارجية سواء كانت طبيعية كما قال داروين، أو كانت مفارقة للطبيعة كما هو لدى أصحاب نظرية العناية الإلهية.

وها هو برغسون يشرح طريقة عمل هذه الدفعة التي أدت في النهاية لظهور الإنسان حسب تصوره فقال: "إن تطور الحياة من أصولها الأولى إلى الإنسان، تبعث أمام أعيننا صورة تيار من الشعور، نفذ في المادة كأنه يريد أن يشق لنفسه ممرا باطنيا، فقام بمحاولات ذات اليمين وذات الشمال، فاندفع قليلا أو كثيرا إلى الأمام، وتحطم على الصخر في معظم الأحيان، لكنه استطاع في اتجاه واحد على الأقل أن ينفذ وأن يخرج إلى النور وهذا الاتجاه هو الذي يؤدي إلى الإنسان"⁴²، وهي نفسها الآلية التي تحكم أعمال هذا الكائن بما فيها الإبداع الحضاري، هذه الخلفية الفكرية القادمة من فلاسفة الحياة هي التي ميزت توينبي عن فلاسفة التاريخ ذوي التوجه الوضعي.

5.5. الزمن

خصص توينبي للزمن مساحة مهمة في منهجه، بعد أن لا حظ أن أكبر الفلاسفة تجاهلوا هذا العامل ومن هؤلاء أفلاطون وأرسطو حيث كانت نظرتهم إلى الأحداث الإنسانية نظرة سكونية مهمة هذا العامل⁴³، كما لم يأخذ حقه من الاهتمام في فلسفة هيجل، مع أن القضية والنقيض والتركيب، لا يمكن أن تتم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنها تتحرك في البعد الزمني، ولا يمكن تصورهما كحوادث منفصلة عن بعضها البعض، ثم أن الإنسان هو أكثر الكائنات وعيا بالزمن، وقد تزايد هذا الوعي مع اختراع الساعة التي مكنته من التعامل مع الوقت بصورة موضوعية⁴⁴.



ويعرف الزمن بكونه المدة الواقعة بين حادثتين، أولهما سابقة وثانيهما لاحقة.⁴⁵ وقد عرفت البشرية تصورات متباينة لطبيعته وحركته، فكان الإغريق يعتقدون أن الزمن يسير في حركة دائرية، ونجم هذا التصور عن ملاحظتهم لحركة الكواكب، التي ساهمت في ظهور ما يعرف بالعود الأبدي.⁴⁶ وبمجيء الديانات السماوية، آمن اتباعها أن الزمن له بداية، وهو في تقدم مستمر نحو النهاية التي أخبرت عنها الكتب المقدسة. ونفس التصور عن الزمن نجده في عصر النهضة لدى فلاسفة الأنوار، ثم جاء العلم التجريبي ليكرس فكرة التقدم التي تميز حركة الزمن. حين أكدت التجارب في حقل الديناميكا الحرارية، أن الظواهر الحرارية غير قابلة للارتداد إلى الوراء، وأن الحرارة تنتقل دائما في اتجاه واحد، من الجسم الساخن إلى الجسم الأبرد⁴⁷، وهذا اتضح أن الزمن لا يلتفت إلى الخلف أبدا، وتؤكد لتويني أن التصور البوذي للتاريخ أفضل من التصور الغربي، وذلك بفضل الديناميكية التي يصيها على أحداث التاريخ.⁴⁸

6. خاتمة

من اطلع على مؤلفات توينبي في مجال دراسة الظاهرة التاريخية، وظهور الحضارات واختفائها، وبعض الدراسات التي كتبت حوله، يلاحظ أن منهجه في فلسفة التاريخ والحضارة، لا يحفل كثيرا بالمصطلحات العلمية من سببية، وحتمية، وقانون علمي، ولا يقر باطراد الأحداث في حقل الدراسات الإنسانية، ويرى أنه ليس من السهل التكهن بنتيجة التفاعل بين القوى التي لها دخل في تقدم الشعوب وتأخرها، وإن حدث ذلك فإنها لن تتجاوز ما يقدر عليه خبير عسكري من التنبؤ

بنتيجة معركة أو حملة مستعينا بمعرفته الخاصة بطبائع الحروب، ومواردها في كلا الفريقين. إن هذه المعرفة تظل ناقصة، فثمة عناصر غائبة تقع خارج الإدراك المتاح للباحث، عكس ظواهر المادة الجامدة والمادة الحية التي تكون فيها عناصر الدراسة كثيرة العدد. وكان يرى أن المعلومات التاريخية غير كافية لتقديم تفسير حقيقي لوقائع التاريخ. وما هو متوفر منها يخص الدول القومية فقط وليس الحضارات. وما نخلص إليه أن توينبي حاول الاعتماد في دراسته للتاريخ والحضارة على منهج مركب، لأنه كان يأمل في تطبيق المنهج التجريبي على الدراسات التاريخية، إلا أن الظواهر في هذا الحقل المعرفي لا تستجيب بيسر لخطوات هذا المنهج، فأضطر لتعديله عن طريق إضافة عناصر قادمة من حقول معرفية أخرى، أبرزها مناهج الروائيين ما يتصل بها من أساطير، ومناهج فلاسفة الحياة، الأمر الذي جلب له الكثير من النقد.

الهوامش

- ¹. رونيه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2، 1968، ص 31.
- ². أنرولد توينبي: التحديات الكبرى، التحديات الكبرى، الحياة والدين والدولة، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، وزارة الثقافة، دمشق، ط 1، 1999، ص 353.
- ³. روبن جورج كولينجود: فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، د ط، 1961، ص 293.
- ⁴. المرجع نفسه، ص 294.
- ⁵. علاء الدين الاعرجي: أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل، منشورات إي كتب، لندن، ط 5، 2015، ص 89.



- ⁶. أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد الشبل ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، د ط ، 2011. ج 1، ص 6.
- ⁷. علاء الدين الاعرجي: أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل ، ص 83.
- ⁸. أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ ، ج 1 ، ص 58.
- ⁹. المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 7.
- ¹⁰. زياد عبد الكريم النجم: توينبي ونظرية التحدي والاستجابة. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط ، 2010، ص 82.
- ¹¹. ابن منظور: لسان العرب، دارصادر، بيروت ، د ط ، 1970 ، مادة نهج ، المجلد الثاني ، ص 384.
- ¹². زواوي بغودة: المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى الجزائر، ط 1 ، 2001، ص 108
- ¹³. أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ج 1 ، ص 72.
- ¹⁴. ج. دي بويس: مستقبل الحضارة، ترجمة لمعي المطيعي، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، د ط ، 1961 ، ص 31.
- ¹⁵. روبن جورج كولينجود: فكرة التاريخ، ص 293.
- ¹⁶. أرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 2003، ص 47.
- ¹⁷. عاطف علي: المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ط 1 ، 2006 ، ص 132 .
- ¹⁸. هاشم يحي الملاح: المفصل في فلسفة التاريخ ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2007 ، ص 386 .
- ¹⁹. عبد الفتاح محمد العيسوي، عبد الرحمن محمد العيسوي: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث. دار الراغب الجامعية ، بيروت ، د ط ، 1997 ، ص 242 .

²⁰ اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط 2 ، 2001 ، ص 187.

²¹ .عاطف علي: المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية ، ص 133

²² . ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د ط ، 2001 ، ص 37.

²³ . محمد فتحي الشنيطي: اسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية ، بيروت، د ط ، 1970 ، ص 238.

²⁴ . روبن جورج كولينجود: فكرة التاريخ ، ص 289 .

²⁵ . أرنولد توينبي: الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة لمعي المطيعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1966 ، ص 27 .

²⁶ . المصدر نفسه، ص 238 .

²⁷ . نيفين جمعة علم الدين: فلسفة التاريخ عند توينبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1991، ص 89.

²⁸ .أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ج 1 ، ص 71 .

²⁹ .المصدر نفسه، ج 1 ، ص 71 .

³⁰ .جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، د ط ، 1982 ، ج 2 ، ص 403 .

³¹ .سماح رافع محمد : المذاهب الفلسفية المعاصرة ، مكتبة مدبولي ، ط 1 ، 1973 ، ص 135.

³² .زواوي بغورة : المنهج البنوي ، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات ، ص 123 .

³³ .أرنولد توينبي : التحديات الكبرى ، ص 354.

³⁴ .هنري برغسون : الطاقة الروحية، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت ، ط 2 ، 2006 ، ص 54 .

³⁵ .ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 6 ، د ت ، ص 561 .

³⁶ .برتراند راسل : حكمة الغرب ، ترجمة فؤاد زكريا ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و

الاداب ، الكويت، ج 2 ، د ط ، 1983 ، ص 203 .



- ³⁷ هنري برغسون: التطور المبدع، ترجمة جميا صليبا، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، د ط، 1981، ص 10.
- ³⁸ أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ج 1، ص 70.
- ³⁹ برتراند راسل: حكمة الغرب، ج 2، ص 204.
- ⁴⁰ ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص 558.
- ⁴¹ هنري برغسون: الأعمال الكاملة، ترجمة سامي الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 2008، ص 18.
- ⁴² ول ديورانت: قصة الفلسفة، ص 35.
- ⁴³ أرنولد توينبي: التحديات الكبرى، ص 355.
- ⁴⁴ كولن ولسون: فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1992، ص 39.
- ⁴⁵ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 636.
- ⁴⁶ يميني طريف الخولي: الزمان في الفلسفة والعلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 1999، ص 44.
- ⁴⁷ المرجع نفسه، ص 45.
- ⁴⁸ أرنولد توينبي: التحديات الكبرى، ص 364.

المراجع

1. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط ، 2001 .
2. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، د ط ، 1970 .
3. أرنولد توينبي: التحديات الكبرى، التحديات الكبرى، الحياة و الدين والدولة، ترجمة محمود منقذ الهاشي، وزارة الثقافة، دمشق، ط 1، 1999.
4. أرنولد توينبي: الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة لمعي المطيعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1966 .
5. أرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 2003.
6. أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد الشبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، د ط ، 2011 .
7. اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط 2 ، 2001 .
8. برتراند راسل: حكمة الغرب ، ترجمة فؤاد زكريا ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، الكويت ، ج 2 ، د ط ، 1983 .
9. ج . دي بويس: مستقبل الحضارة، ترجمة لمعي المطيعي، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، د ط ، 1961 .
10. جميل صليبا: المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، د ط ، 1982 .
11. روبن جورج كولينجود: فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، د ط ، 1961 .
12. رونييه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2، 1968.
13. زواوي بغورة: المنهج البنيوي، بحث في الأصول و المبادئ والتطبيقات، دار الهدى الجزائر، ط 1 ، 2001 .



14. زياد عبد الكريم النجم: توينبي ونظرية التحدي والاستجابة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2010.
15. سمح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط 1، 1973.
16. عاطف علي: المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2006.
17. عبد الفتاح محمد العيسوي، عبد الرحمن محمد العيسوي: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية، بيروت، د ط، 1997.
18. علاء الدين الاعرجي: أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل، منشورات اي كتب، لندن، ط 5، 2015.
19. كولن ولسون: فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1992.
20. محمد فتحي الشنيطي: اسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1970.
21. نيفين جمعة علم الدين: فلسفة التاريخ عند توينبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1991.
22. هاشم يحي الملاح: المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007.
23. هنري برغسون: الاعمال الكاملة، ترجمة سامي الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 2008.
24. هنري برغسون: التطور المبدع، ترجمة جميا صليبا، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، د ط، 1981.
25. هنري برغسون: الطاقة الروحية، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 2006.

26. ول ديورانت: قصة الحضارة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 6 ، د ت .

27. يمينى طريف الخولي : الزمان في الفلسفة والعلم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط 1 ، 1999 .